

أضواء البيان

@ 189 قوله تعالى : { وَامِنْ ءَايَاتِهِ أَنْزَلَكَ تَرَى الْإِسْرَافَ خَاشِعَةً }
فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَايَهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ إِنَّ السَّيِّئِينَ لَمُحِبِّهَا
لَمُحِبِّ الْمَوْتِ إِنَّ زَنَّهُمْ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ { فدل سبحانه عباده بما أراهم
من الإحياء الذي تحققوه وشاهدوه ، على الإحياء الذي استبعدوه ، وذلك قياس إحياء على
إحياء ، واعتبار الشيء فنظيره ، والعلة الموجبة هي عموم قدرته سبحانه وكمال حكمته ،
وإحياء الأرض دليل العلة ، ومنه قوله تعالى : { يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ
وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ } وَيُخْرِجُ الْإِسْرَافَ بِعَدَدِ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ
تُخْرِجُونَ } . .

فدل بالنظير على النظير ، وقرب أحدهما من الآخر جداً بلفظ الإخراج ، أي يخرجون من الأرض
أحياء كما يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ، ومنه قوله تعالى : { أَلَيْسَ
الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى أَلَمْ يَكُنْ نَاطِقَةً مِّنْ مَّيِّتٍ يُمْنَىٰ ثُمَّ كَانَ
عَاقِبَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ فَجَعَلَ لَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْإِثْمَىٰ
أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُخْرِجَ الْحَيَّ مِنَ الْمَوْتِ } فبين سبحانه كيفية الخلق
واختلاف أحوال الماء في الرحم إلى أن صار منه الزوجان الذكر والأنثى ، وذلك أمانة وجود
صانع قادر على ما يشاء ، ونبه سبحانه عباده بما أحدثه في النطفة المهينة الحقيمة من
الأطوار ، وسوقها في مراتب الكمال ، من مرتبة إلى مرتبة أعلى منها ، حتى صارت بشراً
سويماً في أحسن خلقه وتقويم ، على أنه لا يحسن به أن يترك هذا البشر سدى مهملًا معطلاً .
لا يأمره ولا ينهاه ، ولا يقيمه في عبوديته ، وقد ساقه في مراتب الكمال من حين كان نطفة
إلى أن صار بشراً سويماً ، فكذلك يسوقه في مراتب كماله طبقاً بعد طبق ، وحالاً بل حال ،
إلى أن يصير جاره في داره يتمتع بأنواع النعيم ، وينظر إلى وجهه ، ويسمع كلامه إلى آخر
كلام ابن القيم رحمه الله تعالى ، فإنه أطال في ذكر الأمثلة على النحو المذكور ، ولم نذكر
جميع كلامه خوفاً من الإطالة المملة ، وفيما ذكرنا من كلامه تنبيه على ما لم نذكره ، وقد
تكلم على قياس الشبه فقال فيه : .

وأما قياس الشبه فلم يحكه الله سبحانه إلا عن المبطلين . فمنه قوله تعالى إخباراً عن
إخوة يوسف أنهم قالوا لما وجدوا الصواع في رحل أخيهم . { إِنَّ يَسْرُوقَ فَقَدِدُوا سَرَّاقًا
أَخٌ لَّهُ مِنْ قَدِيلُ } فلم يجمعوا بين الفرع والأصل بعلة ولا دليلها ، وإنما ألحقوا
أحدهما بالآخر من غير دليل جامع سوى مجرد الشبه الجامع بينه وبين يوسف ، فقالوا هذا

مقيس على أخيه بينهما شبه من وجوه عديدة ، وذلك قد سرق فكذلك هذا ، وهذا هو الجمع
بالشبه الفارغ والقياس بالصورة المجردة عن العلة المقتضية للتساوي ، وهو قياس فاسد ،
والتساوي في قرابة الآخوة ليس بعلة للتساوي في السرقة لو كان حقاً ولا دليل على